الادبي في العصر العباسي لم يقف عند الصياغة والشكل او عند تحديد المعاني والالفاظ ... بل تعدى ذلك الى التذوق والموازنة العلمية فأصبح النقاد يوازنون بين العشراء ويضعونهم في طبقات مفضلين بعضهم على بعض ومن اهم المؤلفات التي أُلفت في ذلك كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة كما ظهرت طائفة اخرى تبني نقدها على اساس الذوق العلمي وتمثلت بفريق اللغويون والنحويين الذين اسهموا بشكل كبير في ازدهار النقد الادبي اذ لانهم جمعوا اراء من سبقهم في الشعر والشعراء واضافوا اليها احكام قيمة في النقد الادبي ،كما كان لاتساع الرقعة الجغرافية التي حدثت في العصر العباسي وتعدد الثقافات والحضارات التي امتزجت بالحضارة والثقافة العربية الاسلامية بالغ الاثر في احداث ذلك التطور في النقد الادبي العربي في العصر العباسي .

النقد في العصر العباسي (اثر الصراع بين القدماء والمحدثين في تطور النقد)

ازدادت الثقافات واتسعت المعارف في العصر العباسي واختلط العرب بغيرهم من الامم والشعوب كالفرس والهنود واليونان فكان لذلك اثره في تطور الادب والنقد، فمنذ اواخر القرن الثاني الهجري بدا النقد يخطوا خطوات جديدة نحو العمق والدقة والتحليل والتعليل المفصل واخذ يحاول الوصول الى النقد المنهجي القائم على اسس ثابتة وقواعد منطقية وموضوعية ،ومن ابرز القضايا في هذا العصر هي قضية(**الصراع بين القديم والحديث**) ،وتعد هذه القضية من قضايا النقد الكبيرة اذ اهتم بها النقاد وأولوها عناية كبيرة وظهرت هذه القضية بظهور التغير الذي طرأ على الشعر العربي في اوائل القرن الثاني الهجري فكان هذا موضع خلاف بين النقاد في ايهما افضل هل الشعر القديم بقوته وجزالته ام الشعر الحديث الذي هو في كثير من الاحيان اقل جودة من الشعر القديم، فكان اللغويون والنحاة في مقدمة المتعصبين للشعر القديم لانه العنصر المهم والواضح في ثقافتهم ولأنهم كانوا يأخذون اللغة عن فصحاء الاعراب كما انهم كانوا لا يعتدون بشعر المحدثين لبعده عن ذائقتهم.

والملاحظ ان الشعر العربي ظل حتى اوائل القرن الثاني الهجري صحيحا قوي العبارة وتغلب عليه روح البداوة في المنهج والصياغة والمعنى وبقيام الدولة العباسية في اوائل القرن الثاني الهجري اخذت الحياة العربية تبتعد تدريجياً عن البداوة وتقترب من الحضارة وظهر في القرن الثاني الهجري طائفة من الشعراء الذين تأثروا بمظاهر الحضارة العباسية الجديدة والذين عُرفوا بـ(الشعراء المحدثين) وينتهي عصر الجزالة والقوة في الشعر بعد (جرير والفرزدق) بقليل اما عصر المحدثين فيبدأ بـ(بشار بن برد)و(مطيع بن إياس) وغيرهم من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية ، وكان (ابو نؤاس من اكثر الشعراء المحدثين اتجاهاً الى التجديد في الشعر اذ ثار على المقدمات الطلية الطويلة ووصف الرحلة والذي كان من سمات شعر القدماء وبدأ يستبدل بذلك الاستهلال وصف الخمر .

ومثل ذلك قول(ابي نؤاس):

دع الاطلال تسفيها الجنوب وتبلي عهد جدتها الخطوب

لم يخرج تجديد المحدثين في القرن الثاني الهجري على كونه في الشكل دون المضمون ،اذ توقف تجديدهم عند الديباجة والصياغة الشعرية والتولع بالبديع والتكلف في الشعر اما اغراض الشعر فلا تجديد فيها وينطبق الحال نفسه على المعاني .

فعلى سبيل المثال نلحظ ان (الجاحظ ت٢٥٥هـ) يدعوا الى تقدير الجيد من الشعر بغض النظر عن مسألة القدم والحداثة وهذا يعكس الفكر الواسع والنير للجاحظ الذي ابتعد فيه عن التعصب للقديم او المحدث ثم جاء بعده (ابن قتيبة) والذي تأثر بأفكاره فكان رأيه في هذه المسألة ان جودة الاشعار هي التي تفرض نفسها وان القياس في ذلك هو جودة الشعر ،وخلاصة القول ان رأي القدماء بالمحدثين انهم اخلُوا بطرق الصياغة والتعبير القديمة وخرجوا عليها واكثروا وغالوا بالبديع اما رأي المحدثين في القدماء هو ان شعر القدماء انما هو مجرد تصوير للحياة التي يعيشها الشاعر مع عدم التمكن بالكامل من اجادة التصوير المطلوب.

لقد كان لهذا الصراع بالغ الاثر في تطور النقد الادبي وذلك ان اللغويين وفصحاء الاعراب ما يزالون من حملة الشعر ونقدته، فهم بذلك من انصار القديم وهم منتشرون في البصرة والكوفة وبغداد وغيرها من البلدان ويعملون على تأليف الكتب والمؤلفات المتعددة وينشرون آرائهم بين الناس اما غير اللغويين فهم يمثلون الطائفة الثانية التي درست الادب قديمه وحديثه وأخذت عن اللغوين والنحويين لكنها اهتمت بالمحدث اكثرمن عناية الطائفة الاولى واقبلت على تحليل المحدث وما حدث من تطور فيه مع دراسة ما بينه وبين المذهب القديم من اختلاف وتمثل هذا الاتجاه بطائفة من الشعراء وعلماء الادب مثل (ابن المعتز) وبهذا تكون كلتا الطائفتين قد اسهمت اسهاماً كبيراً في تطور النقد الادبي من خلال مؤلفاتهم ودراساتهم في الشعر قديمه وحديثة.

اثر التقدم الحضاري والعلمي وتأثير الثقافات الجديدة في تطور النقد الادبي .

كان للأتساع الحضاري والعلمي الذي حدث في العصر العباسي الاثر الواضح والذي انعكس على الشعر ونقده وعلى جميع مرافق الحياة عامة وعلى الحياة الادبية خاصة، فقد كان هذا العصر عصر اتصال العرب بثقافات جديدة اخرى فتعرف على الحضارات وانجازاتها في شتى الميادين مثل الحضارة اليونانية والحضارة الفارسية والهندية فكان ذلك داعياً لان يكون العصر العباسي هو عصر تجديد وتطور في شتى مجالات الحياة في المجتمع العربي وكان لهذا التجديد دوره المهم في تطور حياة النقد الادبي عند العرب كما كان له الاثر الايجابي في تطور النقد الادبي وازدهاره، ولم يقتصر النقد الادبي في هذا العصر على اللغويين والنحاة فقط وانما تعداهم الى الشعراء فقد كانوا هم نقاداً للشعر مثل(ابن المعتز والمتنبي وابي العلاء المعري).

ان اتصال المجتمع العربي وانفتاحه على الثقافات الاخرى كان السبب في ان النقد العربي قد تأثر بالعقلية بالجديدة والتي كونتها فلسفة اليونان والتي اخذتها المعتزلة وعلماء الكلام اساساً في مجادلاتهم وهذا تفسير تغير اتجاه النقد من نقد

ذوقي غير قائم على اسباب وتعليل ويقف عند الجزئيات ثم يقفز الى احكام خاطئة تجعل من شاعر معين اشعر الشعراء لمجرد بيت شعري واحد قاله والعكس صحيح تحول الى نقد ذوقي يقوم على التعليل وهذا ما نلاحظه عند(الآمدي) في كتابه (الموازنة).

ومن امثلة العلماء العرب الذين تأثروا تأثراً كبيراً بالثقافات الاجنبية هو(قدامة بن جعفر) وقد اتضح هذا التأثير في كتابه(نقد الشعر) اذ تأثر بكتاب(الخطابة) لأرسطو الذي تُرجم الى اللغة العربية في النصف الاخير من القرن الثالث.

لذلك يمكن توضيح ابرز المظاهر النقدية في القرن الثالث الهجري بالاتي:

١- كان القرن الثالث الهجري يمثل عصر التدوين والجمع في علوم العربية لذلك فقد دونت اول كثب النقد في هذا القرن.

٢- اتسع في هذا القرن نقد اللغويين والنحاة وذلك بسبب كثرة العلماء والرواة والمتخصصين.

٢- تعددت اهتمامات العلماء والرواة لتتناول الرسائل والخطب والحكم والامثال وقد دُرست تلك الفنون دراسة موسعة وخاصة(البيان والتبيين)وكتاب(الحيوان) للجاحظ اضافة الى شيوع الموضوعية فظهر(النقد التوضيحي) والذي يعنى بشرح النص الادبي بجزيئاته وكلياته وبذلك يمكن القول ان النقد الادبي قد وُضعت اصوله ومذاهبه النقدية في القرن الثالث الهجري

وبذلك نلحظ اتساع آفاق العرب الادبية والثقافية بفضل احتكاكهم بالشعوب وبسبب ترجمة الثقافات الاجنبية .

النقد في القرن الرابع الهجري ــ تطوره وتعدد اتجاهاته ــ

يمكن القول ان القرن الرابع الهجري كان من احفل القرون بالنقد والنقاد اذ كُتبت فيه العديد من مؤلفات اصول النقد الادبي مثل كتاب(نقد الشعر) لقدامة بن جعفر و(أخبار ابي تمام) للصولي وكتاب(الموازنة) للامدي وكتاب (الوساطة)للقاضي الجرجاني وكتاب (الصناعتين) لابي هلال العسكري وكتاب (اعجاز القرآن) للباقلاني(ت٤٠٣ هـ) وقد سار النقاد في هذا القرن على نهج الجاحظ فلم يتعصبوا للقديم لقدمه او يفضلوا المحدثين لتأخرهم بل كان الذوق السليم هو مقياسهم وحكمهم وفنية الادب هي مطلبهم ومبتغاهم كما بينوا للجاهليين اخطائهم ومآخذهم كما فعل (الآمدي) في كتابه الموازنة و(القاضي الجرجاني) في كتابه(الوساطة) وبذلك كان نقاد هذا القرن هم العمدة والمرجع لكل من جاء بعدهم في القرن الخامس الهجري مثل(ابن رشيق القيرواني) في كتابه العمدة و(عبد القاهر الجرجاني في (اسرار البلاغة) و(دلائل الاعجاز) .

كما كان النقد في هذا القرن خصباً جداً وكان متسع الآفاق ومتنوع النظرات ومعتمداً على الذوق السليم اخذاً بمناحي العلم في الصورة والشكل فإن حلل فبذوق سليم وان علل فبنطق وان عرض لفكره اتى على كل ما فيها وبذلك يمكن القول ان النقد قد وصل الى اوجه وان كل عناصره الفنية قديمها وحديثها قد تحدد واتضح في العهد ما بين ابي تمام وابي الطيب المتنبي كما ان الشعر القديم قد

بُحث بحثاً حسناً بما ذُكر في جرير والفرزدق والاخطل وامرؤ القيس وزهير والنابغة والاعشى ، فنلاحظ نقدة هذا القرن يحفلون بالموازنات ويستقصون في البحث ويعرضوا لكل ما قيل حديثاً وقديماً في النقد فأصبح الشعر اصابة معنى وادراك غرض بألفاظ سهلة عذبة سليمة من التكلف لا تبلغ الهذر الزائد ولا تنقص نقصاناً يقف دون الغاية كما اصبح الشعر في نظر النقاد حسن النظم وصحيح السبك ،ويعود الحكم في ذلك الى الذوق الادبي والى الطبع الذي عند الناقد والى الدربة وطول الخبرة حتى كان القرن الرابع الهجري الذي جاء بأشخاص كانوا قوى دافعة في توجيه النظرية الشعرية في النقد فتعمقوا في العلاقة بين النظر والتطبيق وحققوا للنقد شخصية متميزة .

ابن سلّام الجمحي وكتابه(طبقات فحول الشعراء)

هو محمد بن سلام الجمحي البصري ولد في البصرة سنه(١٣٩هـ) وتوفي فيها سنة(٢٣٢هـ) وهو اديب ونحوي وهو من كبار الرواة والنقاد ومن علماء القرن الثاني الهجري واوائل القرن الثالث، ويُعد كتابه (طبقات فحول الشعراء) اول مؤلف نقدي موجود يستند الى نظرية(الطبقات)ولانه كذلك فقد اعتمد ابن سلام منهجية واضحة جعلت بعض مؤرخي النقد العربي يرون فيه اول ناقد متخصص يعتمد منهجا مستقيما وروحا علمية ،وواقع الامر ان ابن سلام لم يكن اول من ألف في الطبقات ؛ فقد سبقه الى ذلك **ابو عُبيدة معمر بن المثنى** ،وقد اشار الى ذلك ابن النديم في كتابه **الفهرست** غير ان ضياع كتاب ابي عبيدة جعل مؤرخي النقد يشيرون الى ابن سلام بصفته اول من الف في الطبقات .

منهج ابن سلّام في كتابه (طبقات فحول الشعراء)

اعتمد ابن سلام طرائقاً متنوعة في النظر الى الشعراء وهذه الطرائق هي :

١-**الطريقة التاريخية** من جهة انه قسم الشعراء بحسب ازمنتهم الى جاهليين واسلاميين ،وهذه الطريقة سليمة لانها تقوم على الصلة الوثيقة بين الادب والتاريخ .

٢-الطريقةالثانية اعتمد ابن سلام **البيئة** واثرها في الشعر والشعراء فخصص فصلاً لشعراء القرى العربية وفاضل بينهم فمثلاً جعل (حسان بن ثابت)اشعر (المدنيين) وابن الزبعري (اشعر المكيين).

٣-الطريقة الثالثة نظر ابن سلام الى الشعراء من ناحية **فنون الشعر** وابوبه علماً انه لم يخص جميع انواع الشعر وانما اقتصر على البارزين **بفن الرثاء** .

وذلك لان شعر الرثاء ابرع واغزر الوان الشعر من حيث العاطفة ،ومن الاسئلة التي تتبادر الى الذهن :هل ان ابن سلام هو اول من الف كتاباً في النقد المنهجي وهل ان كتابه هو اول كتاب ؟والجواب على ذلك هو ان هناك من سبق ابن سلام في ذلك ولكن اول كتاب وصل الينا هو كتاب ابن سلام وبذلك يمكن القول ان كتاب ابن سلام هو اول كتاب أُلف في تاريخ الادب العربي .

مصطلحا(الفحولة والطبقات)

الفحولة: وهو احد المصطلحات المهمة في النقد العربي القديم ،والفحولة مقياس فني لنجاح الشاعر ومقدرته العالية في الشعر، وان اول من استعمل هذا المفهوم